خطاب العنف في رواية كتاب الأسرار لإبراهيم سعدي

The discourse of violence in the novel Book of Secrets by Ibrahim Saadi

ط. د نادية كبدي *

أ . د بروان محمد الصادق ♣

تاريخ الإرسال: 2022/ 12/30	تاريخ القبول: 2023/09/13	تاريخ النشر: 2023/12/31

الملخص:

عاش الشّعب الجزائري حقبة مرعبة خلال العشريّة السّوداء، فظهر ما يسمّى بمصطلح العنف الذي يعنى به عدم الرّفق، وقد تطرّق إلى هذا الموضوع مجموعة من الرّوائيين الجزائريين أمثال: إبراهيم سعدي الذي وظّف قلمه لتصوير هذه الظّاهرة. الهدف من هذه الدّراسة هو الرّغبة في استحضار أحداث العشريّة السّوداء وجعلها خالدة في النّفوس. والأهميّة من هذا البحث: هو توصيل للقارئ من خلال هذه الدّراسة مدى توفيق الرّوائي في نقله لواقع الشّعب الجزائري الذي اتّسم بالعنف، وتحريضه على زرع ثقافة اللاّعنف.

كلمات مفتاحيّة: رواية، عشريّة سوداء، جسد، عنف مادّي ومعنوي.

Abstract:

The Algerian people lived through a terrifying era during the black decade the so – called term of violence, which means lack of kindness, appeared. A group of Algerian novelists, such as: Ibrahim saadi, addressed this issue, who used his pen to depict the phenomenon. The problem of our research came as follows: what are the forms of violent discourse in the novel The Book of Secrets?

* جامعة مولود معمري – تيزي وزو، kebdinadia@gmail.com

♣ جامعة مولود معمري – تيزي وزو، berr_sadek@hotmail.fr

The aim of this study was the desire to evoke the events of the black decade and make them immortal in the souls. We reached the following results. We saw through the study that the novelist has succeeded in conveying to us the reality of the Algerian people, which was characterized by violence.

Keywords: Novel, black decimal, body, physical and moral violence.

المؤلف المرسل: نادية كبدي kebdinadia@gmail.com

*** *** ***

مقدمة:

شكّلت المأساة التّسعينيّة منعرجا في تاريخ الجزائر المعاصر، الّتي شهدت صراعا سياسيّا عنيفا ومواجهة دمويّة والقضاء على القيم ومبادئ المجتمع الجزائري فاستطاعت الرواية أن تنقل تلك الوقائع المملوءة بالآلام المتمثّلة في قتل المثقّفين والاغتيالات الجماعيّة وحرق الممتلكات التي ارتكبها الإرهاب في حقّ المجتمع الجزائري، وما تعرّض له المجتمع من اضطرابات عنيفة على مختلف الأصعدة. من الأعمال الأدبيّة التي تصوّر ذلك نجد: الشّمعة والدّهاليز لطاهر وطار، سيّدة المقام لواسيني الأعرج، فتاوى زمن الموت وكتاب الأسرار لإبراهيم سعدي وغيرها.

لقد أرّخت هذه الرّوايات لمرحلة العنف بكلّ تفاصيلها من خلال توظيف الأديب قلمه لنقل الصّور الكابوسيّة المقرعة للذّاكرة.

من هذا المنطلق نحاول إبراز ظاهرة العنف في الرّواية الجزائريّة انطلاقا من الواقع الجزائري، نتيجة الفساد السّيّاسي والاجتماعي والاقتصادي والتّراجع الثّقافي وظاهرة الإرهاب الذي عرقل سير الحياة نحو الأفضل.

جاءت إشكاليّة بحثنا كالتّالي: ما هي أشكال خطاب العنف في رواية كتاب الأسرار؟

الهدف من إنجاز هذا البحث هو الرّغبة في معرفة جذور الأزمة الجزائريّة خلال العشريّة السّوداء، وكذا الكشف عن أشكال العنف. تطرّقنا في هذا البحث إلى تحديد مفهوم العنف عامّة والعنف النّفسي خاصّة، بعدها تحدّثنا عن أشكال العنف منه الجسدي واللّفظي.

2. العنف: أصله ومفهومه:

1.2 أصله:

إنّ دراسة بعض الظّواهر الاجتماعيّة والشّعائريّة القديمة قد توحي بأنّ «النّزعة التّدميريّة لها جذورها النّظريّة في الطّبيعة الإنسانيّة. إلاّ أنّ التّحليل المعمّق لدلالة هذه الظّواهر، يثبت أنّ كلّ الممارسات الّتي تؤدّي إلى التّدمير، ليست ناتجة بالضّرورة عن شغف بالتّدمير، وخير مثال على ذلك ما نسمّيه اليوم بعطش الدّماء أي الرّغبة في إراقة دمّ الخصم أو قتله، ذلك أنّ الدّمّ كان يعتبر في المراحل المتعاقبة في التّاريخ البشري مادّة الحياة والحيويّة. إنّ في استعراضنا لتاريخ البشر، نلاحظ تكرار عمليّات المجازر وأعمال القتل والتّدمير والتّمثيل بالسّجناء الذّين يتركون أحيانا في الملاعب المقفلة عرضة لأنياب الحيوانات المفترسة في العصور الرّومانيّة إلى الحروب الكيماويّة، إلى المجازر الجماعيّة في حروب الطّوائف، إلى حروب التّصفيّات السّيّاسيّة، وغيرها من الشّواهد التي خلّفت نزاعات ومآس كثيرة كالقتل والتّدمير. ولكن ثمّة عوامل كثيرة معقّدة ساهمت في تكوين هذه النّزعة منها. الحروب أو النّزاعات الدّينيّة أو السّيّاسيّة، والفقر والتّزايد السّكّاني. إذن ليست الطّبيعة البشريّة نفسها هي التي تظهر فجأة اللّجوء إلى هذه الممارسات، بل هي مجرّد طاقة تدميريّة تدفعها بعض الظّروف الخارجيّة والأحداث المفاجئة إلى الظهور»[1] هذا معناه أنّ الضّغوطات الخارجيّة توثّر سلبا على نفسيّة الإنسان، فيتحوّل من إنسان هادئ إلى شخصيّة عصبيّة عنيفة، لأنّ الظّروف غالبا لم تكن متاحة لتجعل منه شخصيّة خيّرة وسويّة.

بيد أنّ فورة العنف المفاجئة التي اجتاحت الجزائر طوال «حقبة التّسعينيّات السّوداء إثرى انتفاضة أكتوبر 1988م وصعود الجبهة الإسلاميّة للإنقاذ، أعلنت عن دخول مرحلة جديدة بالنّسبة للتّعبير الرّوائي الجزائري، سواء على مستوى الوجود

الحياتي للرّوائيّين، أو بالنّظر إلى موضوعات الكتابة وصيغ التّصوير. وهكذا بعد صدور الفتاوى العبثيّة القاضيّة بإعدام المثقّفين، واغتيال الطّاهر جاووت، بدأنا في صدور تدريجيّا نصوص روائيّة ذات طعم حريف»[2]. قد يتوسّع العنف ليشمل دائرة واسعة «لذا لم يكن العنف فقط مقتصرا على الغير أو الآخر المخالف دينيّا أو عقديّا؛ بل تجاوزه إلى المخالف طائفيّا أو مذهبيّا وفي بعض الأحيان المختلف على مستوى بعض التّقديرات، أو الاجتهادات السّيّاسيّة المرتبطة بظروف معيّنة»[3] هذا يعني أنّ ظاهرة العنف تتوسّع من الأفراد إلى الجماعات بسبب الاختلاف وتعدّد الإيديولوجيّات ووجهات نظر، وهذا التّعارض يخلق التعصّب للأفكار بالتّالي يؤدّي إلى العنف والقمع.

2.2 مفهومه:

العنف إشكاليّة معقّدة تتجاوز البعد السّيّاسي والاجتماعي لتصاحب كلّ «عمل قولي أو فعلي فهو سلوك فعلي أو قولي يستخدم القوّة أو يهدّد باستخدامها لإلحاق الضّرر والأذى بالذّات، أو بالأشخاص الآخرين، وتخريب الممتلكات للتّأثير على إرادة المستهدف »[4] السّلوك المعنّف لا ينحصر فقط في المادّي « بل يتوسّع إلى الرّمزي واللّفظي، مباشر أو غير مباشر يستعمله فرد ضدّ آخر أو جماعة ضدّ أخرى »[5] هذا معناه أنّ العنف لا يتّخذ شكلا واحدا فهو يتعدّد ويتنوّع من مادّي ولفظي ورمزي. لا يمكن أن نتصوّر مجتمعا بلا عنف، فالعنف موجود في كلّ مجال يعمّره النّاس، وعلى الرّغم ما بذله البشر طيلة تاريخهم لأجل القضاء عليه فإنّ مجهوداتهم باءت بالفشل، ممّا جعلهم أبعد ما يكون عن تحقيق مجتمع عادل.

يذهب فوكو إلى أنّ العنف «مصدره القوّة التي تتّخذ أشكالا مختلفة ليست الشّرطة أو الجيش، أو السّلاح فقط، إنّما لها أشكال أخرى عدّة يمكن البرهنة عليها بالنّظر إلى المجتمع والحياة اليوميّة»[6]

*** المفهوم النّفسي للعنف:**

يتجسّد العنف في «عقدة أوديب حول فكرة رغبة الطّفل الذّكر الدّفينة في قتل الأب وتملك الأمّ تلك الفكرة التي تنتمي إلى ما قبل تاريخ الأديان، والتي تجعل من الدّيّانة

تحيينا تكراريّا للذكر فعل القتل هذا»[7] يعدّ نزوع الإنسان إلى العدوان والوحشيّة بمثابة السّبب الرّئيسي لتردّي العلاقة بين الذّات والآخر، وقد تغرس في الأفراد حقدا دفينا لبعضهم البعض فيصبح الإنسان ذئبا لأخيه الإنسان.

يرى عالم النّفس فرويد « أنّ هناك نزعة تتحكّم في الإنسان بالإضافة إلى الغريزة الجنسيّة يسمّيها الغريزة الحيوانيّة، ويرى أنّ الإنسان ليس مخلوقا لطيفا، بل هو على العكس مخلوق بين معطياته الغرائزيّة قسط قويّ من العدوانيّة، وهذه النّزعة تهدّد باستمرار المجتمع المتحضّر بالانقراض »[8] هذا يبدو «أنّ التّحليل الفرويدي بمعناه الدّقيق، تحليل جنسي تماما وهو على اعتقاد فرويد بأنّ علاقة الأمّ والابن علاقة جنسيّة بالظّرورة، إنّ أيّ من المعتقدين يرى أنّ فرويد على استعداد لأن يؤكّد أنّه لا يعني بالطّبع الجنسيّة الماديّة، وأنّه إنّما يعني جنسيّة سيكولوجيّة ولكن في هذا توسّعا غير علمي ولا يبرزه المنطق، أنّ قول فكرة الميل الجنسي نحو الأهل أمر يجب أن يوصف بما هو أسوأ من السّخيف »[9] هذا معناه أنّ فكرة الشّهوة الجنسيّة مع المرأة التي ولدتك أمر لا يتقبله العقل والمنطق، بل هو خارق للعادة. إنّ مصطلح اللّيبيدو: هو البحث عن الإشباع الجنسي حيث يقول فرويد: «تفسير الحاجات الجنسيّة لدى الإنسان والحيوان سنستعين في الحياة بفرض وجود غريزة جنسيّة كما نفترض غريزة التّغذيّة لتفسير الجوع»[10] هاتان الغريزتان تتحكّمان على الإنسان أشدّ تحكّم، لأنّ طبيعة الإنسان تقتضي ذلك.

3 - أشكال العنف:

1.3 العنف الجسدي:

المقصود بالعنف الجسدي هو ذلك العنف الممارس على جسد الإنسان لما يتعرّض له من اعتداءات من قبل الآخر.

***ضبط مفهوم مصطلح الجسد:**

لم يجمع الباحثن على تعريف واحد للجسد «فالمعاني متضاربة ومتفاوتة في تحديد مفهومه أو ماهيته، وعلى العموم فإنّ الجسد الذي نقصده هو جسم الإنسان

وحدة من بين سائر الحيوان»[11] يعني هناك تضارب الآراء في تحديد مصطلح الجسد، كلّ ووجهة نظره وزاوية رؤيته إليه.

لم يحظ الجسد الإنساني «بالاهتمام الكافي نظرا لأشدّ الضّرر والعقاب الذي يلحق به، وتعرّضه إلى صدمة الموت التي تقطع أوصال علاقته بالحياة، ليذهب الجسد بعد ذلك إلى مكان التحلّل والفناء»[12] فالجسد ذلك « الكيان الذي نظر إليه على أنّه جامد، لم يعد ولم يكن كذلك يوما؛ فجميع تمحورات الحياة وصورها يؤدّيها الجسد ويقوم بها بكلّ دقّة وفق سلوكيات وأفراد الأفراد ؛ فهو سرّ وجود الحياة بواقعها المادّي وهو مترجم لكلّ الأفكار والطموحات والمشاعر التي يمتلكها الإنسان، لتخرج بتصرف الجسد الذي يقوم بها وفق ما يريد ذلك الجسد. ويتعرّض الجسد فضلا عن ذلك لتمظهرات السّلطة، إذ تمارس عليه من قبل الفرد أو من أسرته عدّة سلطاته إمّا لتقويمه، أو عقابه وإلحاق الضّرر به»[13] هذا يبيّن أنّ الجسد قد يتلقّى عقوبات مختلفة في كلّ مكان وزمان، سواء من طرف الأسرة أو من المحيط المدرسي أو في المجتمع وغيره.

أمّا ميرلوبونتي فقد وصف الجسد بأنّه «شيء معاش وليس سجنا تسكنه النّفس كما يذكر أفلاطون، أو وحدة وظيفة كما ذكر أرسطو أو آلة يتمّ التحكّم بها وتسييرها كما يشاء الإنسان وفق ديكارت، بل إنّه يعاش وفق توتّر قصدي»[14]

***الجسد عند اليونانيين والمصريين القدماء:**

لقد بدأت ملامح الاهتمام بالجسد « من خلال اليونانيين حيث من الممكن أن نلمس إجلالهم وتقديرهم للجسد من خلال ما أبدعوه من فنون متعدّدة، تبيّن كيف كان الجسد مثار إعجابي وتقييم مثالي »[15] ولقد اختار نيتشه الحديث أيضا عن الجسد كما عن الذّات، وأن يكبر فيه العقل الكبير « الجسد عقل كبير، وحدة متكثّرة حالة من السّلم والحرب، قطيع وراعيه، وهذا العقل الصّغير الذي تدعوه فكرك يا أخي، ليس سوى أداة جسدك، أداة صغيرة جدّا، ولعبة في عقلك الكبير »[16] كما نعلم هنا أنّ العقل جزء من الجسد، فهما متكاملان وأيّ خلل يصيب أحدهما يؤدّي إلى دمار حياة الفرد.

أمّا عند المصريين القدماء «أوّل من اقترب من الجسد ولامسه وساءل هذا الغلاف الإنساني، وذلك من خلال عمليات التّحنيط التي كانوا يقومون بها في تحنيط الجسد (الجثّة) السّوما (soma) بحسب فرنان والقصد منه تمجيد للمظهر ومحاولة للاحتفاظ بالجسد بمادته التي تتلف بتحنيطها، وذلك بالاستعاضة عن هروب الرّوح منها »[17] معنى التّحنيط عند قدماء المصريين هو حفظ جسم الميّت بتخليصه من الأحشاء والمخ وسائر المواد الرّخوة، ومعالجته بطيوب وعقاقير ومواد تدفع عنه أسباب البلى.

من مظاهر العنف الجسدي في الرّواية نذكر:

أ- القتل:

***أصله:**

يرسم المتخيّل الدّيني الإسلامي بداية الحياة الإنسانيّة بحصول « فعل القتل الأوّل والمؤسّس ذاك الذي حصل بين أبناء آدم، هابيل وقابيل، لقد حصل نزاع الإخوة بسبب أخواتهم، فبينما سيقبل هابيل أخت قابيل، زوجة له، سيرفض قابيل وهب أخته زوجة لأخيه بحجّة أنّها أجمل. وستكون إحدى كيفيات حل هذا النّزاع إرجاء الأمر إلى التّحكيم الإلهي. وكان أن هيّأ كلّ من الأخوين هبة الله. سيهب هابيل قربانا حيوانيّا (كبشا) بينما قابيل منتوجا زراعيّا. لقد فضّل الله هبة هابيل ورفعها إليه، وهو ما لم يستصغه قابيل. وإثر ذلك سيقتل أخاه ثمّ سيدفنه على شاكلة دفن الغراب لقتيله»[18].

في كتاب طوطم وطابو يبرز فرويد «الأساس الأصلي لتشكّل الدّيّانة ارتكازا على تأويل أسطورة قتل الأب وصراع الأخوة»[19] لقد آل صّراع الأخوة إلى الانتهاء بتعويض المأتم بالحفل، وذلك عبر تعويض قتل الأب بقتل الحيوان / الطّوطم.

من تمظهرات ظاهرة القتل في الرّواية:

إنّ كثرة المشاكل الاجتماعيّة أحيانا هي السّبب الرّئيسي في حدوث ظاهرة الجريمة في المجتمع عامّة والأسرة خاصّة، وتطلق كلمة جريمة «على كلّ فعل أو سلوك مخالف للحقّ والعدل المستقيم، كما اشتقّ من ذلك المعنى إجرام أجرموا»[20] بمعنى أنّ سلوك

الجريمة الإتيان بفعل ضدّ تعاليم الدّين الإسلام نظرا لما يلحقه من أذى على الغير، ومثل هذا العمل الإجرامي وسلوك القتل الممارس على المرأة، نجده وارد في الرّواية، قال نذير زاهر:« تعال تلقي آخر نظرة على وهيبة. قبّلها قبلة وداع. كانت دوما لطيفة معك كانت تحبّك كثيرا. تعال نذير. وما هي إلاّ ثوان حتّى رأى نذير وهيبة مسجاة على الأرض، مغطّاة ببطانيّة بيضاء مشربة بالدّمّ، ساكنة سكون الموت»[21] هذا المشهد المملوء بالدّمّ يثير في النّفس الرّعب والخوف خاصّة عند أصحاب القلوب الضّعيفة، فهذا مقتطف ورد فقط في الرّواية، وما بالك إن حدث ذلك في الواقع نصب عينك، فقد يؤدّي إلى الإغماء وفقدان الوعي.

ب- الذّبح:

هناك العديد من الرّوايات الجزائريّة تناولت أحداثا مأساويّة تتعلّق بظاهرة الذبح الذي قد ينتج بسبب شحنة عنيفة من الهيجان والغضب، قال فرج عبد القادر عن العنف: «هو ذلك السّلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقوّة والإكراه، هو عادة سلوك بعيد عن التحضّر والتمدّن، تستثمر فيه الدّوافع والطّاقات العدوانيّة، استثمارا بدائيّا كالضّرب والتّكسير والتّدمير للممتلكات واستخدام القوّة ضدّ الخصم»[22] ولكن الأسوأ إذا استغلّت تلك الطّاقة العنيفة ضدّ الأطفال والرّضع، كسلوك القتل الذي ورد في رواية كتاب الأسرار، قال الراوي: « تعرّضت قرية لمجزرة قطعت فيها رقاب الرّضع كما يواصل الحديث حول ذبح الأطفال، المتمثّل في ذلك الحديث الدّائر بين نذير زاهر والدّكتور النّفساني، الذي ظلّ يطرح عليه عدّة أسئلة يقول: طيّب ما رأيك فيما يحدث عندنا من ذبح وقتل ؟ هل يمكن تبرير ذبح الأطفال والرّضع والنّساء؟ قال نذير: تبريره بأيّ شيء دكتور؟ مثلا، بأسباب سيّاسيّة، دينيّة، بمقتضيات الدّولة أو بأشياء أخرى من هذا القبيل»[23] هذه المشاهد تثير القشعريرة وتزرع الخوف في نفوس البشر، خاصّة عندما مسّ السلوك العنيف فئة الأطفال الأبرياء الذين لا ذنب لهم ممّا يحدث من حولهم من أمور.

ج- التّعذيب:

يتمحور مفهوم مصطلح التّعذيب عند عبد القادر عودة بقوله: « كلّ أذى على جسم الإنسان من غيره فلا يودي بحياته، وهو تعبير دقيق يتّسع لكلّ أنواع الاعتداء والإيذاء، التي يمكن تصوّرها فيدخل فيه الجرح والضّرب والدّفع والجذب والعصر والضّغط وقصّ الشّعر ونتفه وغير ذلك»[24] كما يتضمّن سلوك التّعذيب أيضا عدّة معاني أخرى كالضّرب الشّديد والمبرح أو التّنكيل، والمصاحبة بآلام حادّة في سائر الجسد، وهذا المقطع من الرواية يصوّر المرأة التي تكون ضحيّة للظّلم الاجتماعي وتسلّط الرّجل عليها، إذ جعل منها كائنا ضعيفا يعيش كلّ أنواع الذّلّ، يقول الرّاوي: «بدأ نذير زاهر يسمع الصّيّاح آتيّا من غرفتها، أثناء اللّيل عادّة، قبل أن يصبح بوسعه بعدما أن يرى كدمات على محياها بين الحين والآخر. وهذا بات يحدث لوهيبة في تلك الفترة أن تغلق الباب على نفسها في غرفتها أثناء غياب زوجها وتبكي ولا تدري أنّ نذير يسمعها. والواقع أنّ أولى الكدمات على وجه الزّوجة الشّابة قد ظهرت يوم راح أبوه ينهال عليه بالضّرب، فحاولت دفعه عنه، فلم يكن من الوالد إلاّ أن أخلى سبيله ليتحوّل إليها»[25] ولكن مثل هذا السّلوك العنيف لا يتجسّد فقط من طرف الأب، بل انتقلت العدوى إلى ابنه نذير زاهر الذي يضرب زوجته مثلما كان يفعل أبيه، ظهر ذلك في الرّواية من خلال الحوار الدّائر بين نذير زاهر والطّبيب النّفسي رضوان نسيب: «ماذا تقصد بالضّبط دكتور بكيف أضربها؟ لم أفهم جيّدا. الطّبيب: أعني هل تستعمل حزامك؟ تضربها بأيّ شيء يقع بين يديك؟ تلكمها وتسقطها تحت رجليك وتركلها في أيّ جزء من جسمها؟ تضربها وأنت تسبّ وتزهق حتّى يسمعك الجيران؟ نذير: ليس الأمر بهذه الحدّة. في غالب الأحيان لا يتعدّى الصّفعة أو الصّفعتين. لكن حدث مرّة أو مرّتين أن ورمت لها عينها. يحضرني الآن كذلك بأنّني في يوم من الأيّام ضربتها ضربا مبرحا حتّى إذا ما وقعت أرضا تحت رجلي، عضّت عضلة ساقي »[26] وهذا الأذى الذي يلحق بالمرأة من طرف الجنس الذّكوري، ناتج عن تهميش المرأة من جهة، وفرض الرّجل سلطته وقوّته على هذا الجنس الضّعيف والمحتقر من طرف الآخر، وهذا ما عبّرت عنه الرّواية « كجنس أدبي عن العنف المعنوي / المادّي، الذي تعرّضت له المرأة في الواقع فالعنف الممارس ضدّها من أهمّ المشاكل التي تعاني منها المجتمعات البشريّة على اختلاف

مستوياتها، وذلك طبقا للظّروف الاجتماعيّة والثّقافيّة »[27] وهذا يعني أنّ الأديب مرسل الرّسالة، حيث يسخّر قلمه للتّعبير عن ما يدور في الواقع من أحداث من أجل توصيل الرّسالة إلى المتلقّي وهو القارئ الذي يتفاعل مع مختلف المشاهد والأحداث التي تقوم بها الشّخصيات داخل الرواية.

2.3 العنف اللّفظي:

أ- السّخريّة:

هناك تعريفات كثيرة أسندت لمفهوم السّخريّة، يعنى بها «النّقد والضّحك أو التّجريح الهازئ، وغرض السّاخر هو النّقد والإضحاك ثانيّا، وهو تصوير الإنسان تصويرا مضحكا، إمّا بوضعه في صورة مضحكة بواسطة التّشويه الذي لا يصل إلى حدّ الإيلام، أو تكبير العيوب الجسميّة أو العضويّة أو الحركيّة أو العقليّة، أو ما فيه من عيوب التي تتجلّى في السّلوكات مع المجتمع»[28] لو عدنا إلى الرّواية لوجدنا الرّوائي أدخل بعض الألفاظ تشير إلى السّخريّة، قال الرّاوي:« اكتفى نذير بأن هزّ رأسه في صمت وهو يتأمّل الرّجل: ما بين الخامسة والستّين والسّبعين، متوسّط القامة، بارز الكرش بعض الشّيء سترة بنيّة وسروال أزرق. تتربّع على رأسه قبّعة من القشّ. الوجه المربّع غير حلق والشّارب أشيب. العينان كبيرتان والفمّ صغير بلا شفتين»[29] لقد نقل لنا صاحب هذا المقطع الأوصاف الخارجيّة لتلك الشّخصيّة التي تحمل في طيّاتها معنى السّخريّة والاستهزاء، بسبب تكبير الأعضاء أو تصغيرها.

ب- السّبّ والشّتم:

تتمثّل هذه الظّاهرة في إصدار كلاما عنيفا يمسّ كرامة الفرد، حيث يتضمّن في جوهره معنى التّهديد والتّخويف، يقول الرّاوي في الرّواية: «تناهى في لحظة من اللّحظات صوت ما، لبث أن استنتج بأنّه صادر عن متظاهر ما، آتيا وسط المدينة صارخا: يا أيّتها الكلاب المسعورة! يا شرطة القتلة! لسوف نبيدكم عن بكرة أبيكم أيّها المخصيّين! وأعقبه صوت آخر آت بدوره من وراء المباني والعمارات، ردا: لسوف نعريكم أيّها المشاغبين ونضاجع أخواتكم وأمّهاتكم وحتّى جدّاتكم! واستمرّ تبادل السّبّ والشّتم بين

البوليس والمتظاهرين إلى أن بلغ نذير زاهر دويّ انفجار»[30] هذا يعني انتهاج الشّعب لأعمال الشّغب، قد يعود إلى ظروف سيّاسة جائرة التي فرضت عليهم بطريقة تعسّفيّة.

4. خاتمة:

- عرفت الجزائر حقبة دمويّة خطيرة خلال العشريّة السّوداء، أدّت إلى ظهور مصطلح العنف حيث تطرّق إليه مجموعة من الرّوائيين الجزائريين، فعرضوا من خلال أعمالهم الأدبيّة مختلف الاغتيالات على المواطنين.

- اتّخذ مصطلح العنف مفاهيم عديدة، وهذا طبقا للزّاوية التي نظر إليها، سواء من ناحيّة نفسيّة أو اجتماعيّة وغيرها.

- لقد تعدّد مصطلح العنف منه الجسدي والمعنوي، فالجسدي تمثّل في مختلف الاعتداءات التي تمارس عليه من قتل واغتصاب وذبح، كما تفاوتت النّظرة إلى الجسد من حيث تحديد مفهومه.

- لا يتجسّد سلوك العنف على مستوى الجسد فقط، بل يتّخذ أشكالا أخرى منها ظاهرة الشّتم والسّب على مستوى اللّفظ وذلك عن طريق إصدار ألفاظا توحي بالإحباط النّفسي والمعنوي.

- توصّلنا من خلال تحليلنا لظاهرة العنف، أنّ هذا السّلوك العنيف يرافق الإنسان أينما ذهب، إذا لم يصدر منه سيصدر من شخص آخر، وللحدّ من هذه الظّاهرة لابدّ من نشر ثقافة التّسامح ونبذ العنف، وكذا نشر الوعي وثقافة الإنصات والتّواصل بين الأفراد.

*** *** ***

5- قائمة المصادر والمراجع:

---

[1]- إيريك فروم، العدوانيّة المؤذيّة والعدوانيّة غير المؤذيّة، مجلّة الفكر العربي المعاصر، العدد 48، ص 37.

[2]- شرف الدّين مجدولين، الفتنة والآخر أنساق الغيريّة في السّرد العربي، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2012، ص 110.

[3]- مجموعة باحثين، التطرّف الدّيني في فكر الجماعات الإسلاميّة نحو مقاربات تفسيريّة مؤمنون بلا حدود للنّشر والتّوزيع، ط1، 2018 م، ص 24.

[4] - د/ الشريف حبيلة، الرّواية والعنف، دراسة سوسيونصيّة في الرّواية الجزائريّة المعاصرة، إربد عالم الكتب الحديث، ط1، 2010 م، ص 11.

[5] - محمّد بهاوي، العنف والعدالة، نصوص فلسفيّة مختارة ومترجمة، أفريقيا الشّرق،2013 م، ص 11.

[6] - د/ الشريف حبيلة، الرّواية والعنف، دراسة سوسيونصيّة في الرّواية الجزائريّة المعاصرة، ص 12.

[7] - د / نور الدّين الزّاهي، المقدّس والمجتمع، أفريقيا الشّرق، 2011 م، ص 24.

[8]- أحمد حسن إبراهيم، العنف من الطّبيعة إلى الثّقافة، دمشق، 2009 م، ص 27.

[9] - فاخر عاقل، مدارس علم النّفس، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1968 م، ص 215.

[10]- أنظر: سيجموند فرويد، الموجز في التّحليل النّفسي، تر: محمود علي، د: ط، د: ت، ص 105.

[11] - علي حرب، الجسد هو الأصل، العورة والجنّة ضمن إشكاليّة الجسد في الخطاب العربي الإسلامي، 15، 16 أفريل 2012 م، وقائع المؤتمر الدّولي، جامعة مستغانم، الجزائر، ص 20.

[12] - د/ مازن مرسول محمّد، حفريات في الجسد المقموع، منشورات ضفاف، ط1، 2015 م، ص 10.

[13] - د/ مازن مرسول محمّد، حفريّات في الجسد المقموع، ص 11.

[14] - حسني إبراهيم عبد العظيم، تطوّر الانشغال السّوسيولوجي بالجسد، ج2، مقال منشور في موقع المتمدّن على شبكة الإنترنت:www.ahewar.org.

[15]- المرجع نفسه، ص 15.

[16]- نيتشه جان غرانييه، طريق المعرفة، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، 2008 م، ص 104.

[17] - منى فياض، فخّ الجسد، تجليّات نزوات وأسرار، بيروت، رياض الريس للكتب والنّشر، 2000 م، ص 22.

[18] - ابن كثير، قصص الأنبياء، دار إحياء الكتب العربيّة، 1408 ه، ص 66- 70.

[19] - Freud. s , Totem et tabou , payot , 1984 , p. p: 174 – 176.

[20]- نجيب بوالماين، إشراف: أ. د بلقاسم سلاطنية، الجريمة والمسألة السوسيولوجيّة دراسة بأبعادها السوسيوثقافيّة، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة، شعبة علم اجتماع التّنميّة، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، قسم علم الاجتماع والدّيمغرافيا، جامعة منتوري قسنطينة، السّنة الجامعيّة 2007 م – 2008 م، ص 16.

[21] - إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، صدرت هذه المطبعة في إطار الجزائر عاصمة الثّقافة العربيّة، دار الحكمة، الجزائر، 2007 م، ص 22.

[22]- محمود سعيد الخولى، العنف في مواقف الحياة اليوميّة نطاقات وتفاعلات، دار مكتبة الاسراء، بيروت، ط1، 2006 م، ص 19.

[23]- إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص ص 181، 78

[24]- عبد القادر عودة، التّشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، ج2، مكتبة دار التّراث، القاهرة، د. ط، 2003 م، ص 204.

[25]- إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص ص 19، 17.

[26]- المصدر نفسه، كتاب الأسرار، ص ص 182- 183.

[27]- هنية مشقوق، العنف ضدّ المرأة قراءة في روايات فضيلة، مجلّة المخبر، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، العدد 6، 2010 م، ص07.

[28]- مفهوم السّخريّة في معجم لسان العرب، في 01 ماي 2016 م، على السّاعة 17:00، على الموقع: www.wikipedia.org/wiki/ar.

[29]- إبراهيم سعدي، كتاب الأسرار، ص 51.

[30]- المصدر نفسه، ص ص 48، 74.